1- حركية النظام الصوتي:

هي عملية تغيير الصوت داخل بنية الكلمة، إما باستبدال حرف بآخر أو تغيير موقع الحرف داخل بنية الكلمة أو حذفه منها.

تغيير مكان الصوت داخل الكلمة:

تغيير الصوت بآخر: نجد في قصيدة مدريد هذا النوع من الاستبدال الصوتي:

الصباح الذي مد لي يده
لا يرى غده[1]

لقد تم استبدال حرف الياء في كلمة يده بحرف الغين في كلمة غده. حرف الياء صوت حلقي مجهور مرقق، واستبداله بحرف الغين هو صوت مجهور مضخم. كما أن استبدال صوت بآخر هو استبدال للصفات الملازمة له. في كلمة يده المسبوقة بالصباح الذي يعطيها البعد الزمني ليرده إلى العصر المفقود إلى الأندلس أي أن هذا الارتباط الشديد الخصوصية لا يحيل إلى ازمن فقط بل إلى المكان وهذا ما أعطى لمطلع القصيدة الزخم الشعري والتاريخي الكبير. كما أن اللام النافية التي سبقت كلمة زمن الماضي بعد نفي الزمن المستقبلي عنه. كما أن الصباح والغد عنصران محددان للزمن ولا يأخذا زخمهما الوقتي إلا بتدخل المكان والشاعر هنا يحيلنا إليه عن طريق العنوان "مدري" وأيضا حين يردف قائلا: "أنا خلف طاحونة الريح" كما لو أنه يقول أن الطواحين التي كانت تطحن فيما مضى الحبوب هي الآن متوقفة مع توقف الزمن. بالفعل حين نعود إلى إسبانيا نجد هذه الطواحين لا تطحن سوى الريح وقد احتفظ بها كمعلم تاريخي خاصة في منطقة لامانشا. أي بمسقط دون كيخوطي دي لا مانشا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- تكرار الأصوات:

من مميزات الشعر الحديث أن التكرار فيه وظيفة جمالية في بنيته الإيقاعية. وقد يكون التكرار حروفا، أو كلمات وأحيانا سطرا بكامله. من خلاله يحاول الشاعر إيجاد بنية إيقاعية قوية، وهذه البنية الإيقاعية هي التي تخلق الموسيقى الداخلية في النص. وهذا ما تحقق في قصيدة «قمر الكلام»:

يوسف الطالع من بئر الكلام

يحتفي بالشعر مثلي

وينام

المساءات مسافة

والمسافات مساء

وخرافه[2]

لقد اتخذ الشاعر من التكرار الثنائي إيقاعا داخليا للقصيدة وولد منه جرسا موسيقيان أعطى للقصيدة شاعرية قوية. فهو قد زاوج بين حرفي الميم والسين، وجعل حرف الفاء يتخللهما. وذلك لأن حرف الميم شفهي والسين همسي ولثوي؛ فالفاء جاءت للتخفيف والانفراج لأنها حرف شفهي وحلقي. والمراد من ذلك هو تخفيف النطق والسماع على حد سواء، من أجل الوصل إلى بنية موسيقية داخلية متماسكة. فقد استطاع أن يجعل منهما دائرة موسيقية. فكأن القصيدة تبدأ من الشفتين وتنتهي في وبالرجوع ثانية إلى الهمس إلى داخل الفم وهكذا ذواليك. ففي السطر الأول من الشاهدالأول، وازن الشاعر بين الميم التي وردت مرتين "المساءات مسافة" وحرف السين مرتين. وكأن التكرار الأول للحروف تأكيد لتكراره في العنوان "قمر الكلام" كما لو أن الشاعر أراد بتكرار الميم الذي يوحي بالأم التي تتكرر في كل اللغات تقريبا؛ لأنه يعينه بكلمة أنثى في السطر الخامس. الأنثى هي الرفيقة الزوجة الأخت والأم طبعا؛ لأن حرف الميم هو الطاغي في هذه القصيدة. إذا ما قمنا بعملية إحصائية نجد القصيدة تتكون من عشرين سطرا وقد ورد حرف الميم بها واحد وعشرون مرة. إذن واحد وعشرون في عشرين يؤكد تركيز الشاعر وإصراره على هذا الحرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا جعل الشاعر من تكرار حرف الميم في هذه القصيدة العنصر الأساس في البنية الإيقاعية والموسيقى الداخلية.

3- التكرار الحر:

المهموس والمجهور:

إن الأصوات المجهورة والمهموسة في أي لغة كانت، تساعد وتسهل عملية النطق. كما أنها تجعلها متنوعة ومختلفة. وبها يستطيع المتكلم أن يصل إلى بنية موسيقى لغته. ومما لا شك فيه أن اللغة المنطوقة تأتي نتيجة للطبيعة الهواء الصاعد من الرئتين. فإن صعد من الحنجرة قويا وتسبب في تحريك الأوتار الصوتية جاء الصوت مجهورا وإن صعد من الحنجرة دون أن يحرك الأوتار الصوتية جاء الصوت مهموسا. وهذه الثنائية في الصوت، جعل منها الشعراء سواء المحدثين أو القدامى وسيلة لتحقيق الموسيقى الداخلية للقصيدة. وهذا ما سنراه في قصيدة «جنة من شعر»[3].

يقول:

أنا المنتمي لي..

أنا المحتمي بي أنا المستحيل الذي يختفي

في وعود الغمام

وفي شهوة الأغنيات

التي يتعطل فيها الكلام[4]

إذن الحرف المهيمن هنا هو حرف الميم الذي ورد تسع مرات في خمسة أسطر، وبه بتقنية شعرية عالية استطاع أن يفرض إيقاعا مجهور يلفت به انتباه المستمع لما أرد قصد وهو التركيز على الذات المتكلمة/ ذات الشاعر التي بأر فيها وبها الحدث البدئي الأساسي. جنة من شعر والكتابة شعر والكاتب شاعر والذات المتكلمة شاعر هذا التبئير الذي جاء ليؤكد أن الحدث الشعري هو حدث ذات الشاعر وأنه قد تحقق بإيقاع شعري مجهور، كما لو أن الشاعر سوف يتعب ليترك ما هو مهموس إلى النهاية ليستريح.

وفي مقام آخر يلجأ الشاعر إلى حرف الباء حيث يقول:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنا نبتة في العراء

أنا ما تبقى من الحلم في سفن الموت

أو ما تبقى من الغرباء

كأن الشوارع تبحث

عن أنبياء المطر

فتلمحهم في بقايا قمر

النبي الذي يحتسي قهوة في شوارع روما

رأوه يصيح بملعب روما[5]

يوقع حرف الباء قوته بالحمولة الدلالية التي يشحنه بها الشاعر. بحيث اختار كلمة تبقى وهي مشحونة بالدلالة الميتافيزيقية والفلسفية، لأنها البقاء والديمومة وهذا ما أعطاها زخما دلاليا قويا به الشاعر جعل الإيقاع الداخلي مشحونا حتى الانفجار، ليردفها قبل نهاية المعنى بكلمتي: أنبياء ونبي وهذا يزيدها قوة نفحة الدلالة المفاهيمية سواء الدينية أو الفلسفية.

أما بخصوص ما هو مهموس فقد التجأ الشاعر إلى حرفي السين، هذا الحرف الذي يعرف ورودا كبيرا في استعمال اللغة العربية سواء في الأفعال أو الأسماء والتسويف وغيرها. نجد الشاعر اعتمد عليه لصياغة أسلوب إيقاعي خاص به تفرد الشاعر في العديد من القصائد من هذا الديوان بحث حوله من حرف متكرر إلى حرف أساسي في الأسلوب الإيقاعي وهذا التحويل هو الذي أعطى للقصيدة إيقاعا وجرسا موسيقيا وشاعرية خاصة في هذا الصدد يقول في قصيدة "السجن"[6]:

بعض الناس ينظرون إلى السجان

كأنه ليل لا ينتهي

وبعض الناس ينظرون إلى السجن

كأنه قيامة

وأنا واحد من الناس

لكني أرى السجن حديقة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والورد كلامك سيدي الوزير..

في هذا المقطع الأول من القصيدة استعمل الشاعر حرف السين سبع مرات في سبعة أسطر أي بمعدل حرف واحد في كل سطر. وهذا يعتبر بمثابة توازن عددي حافظ على وتيرة الإيقاع كما أن الترتيب في هذا المقطع قد لعب دورا كبير ا بحيث قام الشاعر بوضع حرف السين في السطر الأول وتخلى عنه في السطر الثاني ثم عاد إليه في السطر الثالث لينبذه في السطر الرابع بعد ذلك يستعيده في السطر الخامس وختم به في السطرين المتبقيين. علما بأننا حين يتبادر إلى أذهاننا كلمة السجن إلا ويبدأ التوتر لكن الشاعر عكس هذا الشعور بنتيجة عكسية حيث يرى في السجن حديقة. وهذا ما يسمى في نظرية القراءة الحديثة بتكسير أفق القارئ وقد وفق في ذلك الشاعر.

حتى لا يسقط في التكرار ها هو من جديد يبدأ قصيدة "كأي شيء[7]" بحرف الشين الذي يشارك حرف السين في المخارج الصوتية لكنهما فونيمين دالين اي أنهما يغيران المعنى بمجرد ورودهما في سياق العلامة اللغوية؛ حيث يقول:

كالفراشات في صحوها

تشتهي الضوء

لكنها تشتهي الموت أكثر

حين تراقص فانوس بيتي

وتعلم أني سأبكي وحيدا

لأني سأجعل بيتي

مقبرة للفراشات

ما أبشع الضوء

حين يخبئ موتا جميلا..

بهذا الأسلوب الإيقاعي الجميل، نجد عز الدين ميهوبي جمع المتناقضات والمفارقات كجمع الفراشات بالضوء والجمال بالموت. أي ارتباط الفراشات بالضوء وهذا معروف طبيعيا وما معروف أكثر أن هذه الفراشات تموت بالنار، لكنه يقلب العلاقة وتصبح الفراشات تموت من الضوء أي من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نتيجة النار. فالضوء في الواقع لا يقتلها بل النار لكن العلاقة هنا قد حولت نتيجتها وأصبح الضوء يقوم مقام النار ليقول في الأخير أن مهما كان الشيء جميلا ويسبب الموت فهو بشع. للوصول إلى هذه النتيجة الجارحة وغير المقبولة استعمل الشاعر حرفا مهموسا الذي يفترض فيه الوصول إلى نتيجة هادئة نوعا ما وليس إلى مثل ما سبق ذكره. كما أنه استعمل الحرف في المفعول به أي الفراشة ليردفها بفعل اشتهى لأن الاشتهاء مرتبط بما هو لذيذ وعذب. لكنه جاء غير ذلك هو أن الفراشات تشتهي الموت وهذا شيء غريب لكن في شعر عز الدين ميهوبي وارد بل أكيد.

سكت فحسه شخص

- تكرار الكلمات:

إن التكرار يتحقق بأوجه عدة. منها تكرار الصوامت وتكرار الصوائت وتكرار كلمات بكاملها بل حتى تكرار مقاطع وأسطر شعرية وارد. وتكرار الكلمات تقنية شعرية. يأتي بها الشاعر، ليعيد ترتيب علاقة الكلمات داخل السطر أو البيت الشعري. ذلك أن الشعر نتيجة علاقات غريبة للكلمات. لأن النسيج الداخلي للنص الشعري يتشكل من خلايا هي الكلمات. ومن غطائها الذي هو الدلالة الشعرية التي تنتج عن العلاقة الشاذة بين هذه الكلمات. وحين يكون الحديث عن هذا النوع من العلاقات بين الكلمات في الشعر يحضر للتو الحديث عن الشعرية. والشعرية هي ما يجعل من نص ما نصا شعريا، حتى ولو كان نثريا. ومن هنا يمكن الحديث عن شعرية النص النثري في الدراسات الشعرية الحديثة. فالمراد من تكرار الكلمات هو إيجاد شعرية النص. وهذه الشعرية هي حسب كمال أبو ديب: «الشعرية حركة استقطابية، بمعنى أنها فاعلية تنتزع من سديم التجربة واللغة مادة لا متجانسة تفعل فيها عن طريق تنظيمها، وترتيبها، وتنسقها حول أقطاب، وتدقيقا حول قطبين يفصلهما، بدورهما، ما أسميه مسافة التوتر.» [8]. إذن بحسب هذا التعريف للشعرية نرى كيف وظف الشاعر تكرار الكلمات، ليجعل منه وسيلة لتحقيق شعرية النص. لأن الشاعر سليمان جوادي لم تفته هذه التقنية الشعرية. فقد وظفها بأسلوب شعري جميل جدا في قصيدته: «الجسر[9]» . وهذه القصيدة تتكون من أربعة وعشرين سط. وتتميز هذه القصيدة عن غيرها من قصائد الديوان،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالتكرار المتواتر للكلمات التي تعطي جمالا شاعريا للنص. وهذا التكرار يؤدي وظائف عديدة في النص من أهمها نجد:

_ تغير الأحداث زمنيا:

يحاول الشاعر في هذا النوع من التكرار للكلمات، إعطاء القصيدة بعدا حركيا. بحيث يجعل الأحداث تتواتر وتتعدد وتتنوع. مما يعطي للقصيدة بعدا دلاليا يتميز بالشاعرية العالية. يقول في هذين السطرين:

لم أكن شاعرا حينها..

لم تكن حينها عاشقة..

في هذا البيت يكرر الشاعر كلمة حينها مرتين كل واحدة في سطر. لكن كلاها متربطة بفعل مجزوم وهو ناقص زمانا. لكنها توحي بالآتي أن المتكلم سيكون شاعرا والمرأة ستكون عاشقة لم يتحقق هذا إلا بورود كلمة حينها مرتين في موضعين مختلفين إنها تقنية اللعب بالكلمات للوصول إلى التحديدات الزمنية.

- المقارنة:

غالبا ما تكون المقارنة بين كلمتين إما متشابهتين في حال المقارنة بين المتشابه بينها. كما تكون بين كلمتين متناقضتين حين يكون بينها اختلاف كبير. لكن الشاعر يكسر هذا المنطق. وذلك حين يستعمل الكلمة ذاتها مرتين لكنها تفيد المقارنة مع إبراز المفارقة. وهذا النوع من الأسلوب قلما نجده عند كبار الشعراء. يقول:

قلت اجعليني إذا شئت جسرا

ودوسي عليه بنعليك حتى المساء

هو جسر النساء[10]

تكررت كلمة جسر مرتين. في الأول جاءت كلمة جسر عامة أي أن الجسر لكل عابر لكنه يستدؤرك فيما بعد ليجعله خاصا فقط بجسر النساء فهكذا يقارن الشاعر نفسه بالجسر بل بجسر خاص بالنساء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مراجع البحث وإحالاته

1- عز الدين ميهوبي اسفار الملائكة ص22.

2- الديوان ص31

3- المصدر السابق ص32.

4- المصدر السابق ص32

5- المصدر السابق ص33

6- الديوان مصدر السابق ص49.

7- الديوان مصدر سابق ص66.

8 - أبوديب كمال: في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة 1986. ص94.

9- الديوان مصدر سابق ص72.

10- الديوان مصدر سابق ص72

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com